لبناني يتفرّد بموهبة موسيقيّة وحيدة في الشرق الأوسط

الـ Contre-Ténor ماثيو الخضر: أكره السياسة.. وأمثّل لبنان أكثر من السياسيين!

كاتيا سعد - المغترب - باريس

عندما نقول لبنان، نعني رسالة.. وعندما نقول لبناني، نعني تميّزاً.. وعندما نقول مغترب لبناني، نعني انساناً يحمل بعقله وقلبه رسالة لبنان، ومواطناً يجسّد بطموحه وإنجازاته تميّز لبنانيّته...

هذا بالتأكيد ليس تعصّباً للبنانيّتي، وإنّما واقع أعيشه وأتلمّسه يوميّاً عندما أقابل مواطنين فرنسيين أو أجانب وتحيّرهم لهجتي اللبنانيّة فيبادرون بالتغنّي بلبنان، وأيضاً في كلّ مرّة أسلّط فيها الضوء على مغترب لبناني اضطرّ لسبب ما أن يحزم أمتعته ويهاجر ليحقّق ما لم يستطع تحقيقه في وطنه...

أنا هنا أمهّد لسرد قصّة مواطن يتأسّف لكون مجتمعه لبنان لا يرى في نجاح مواطنيه إلا المهندس والطبيب والإعلامي والتاجر والمحامي ولا يعني له نجاح مواطنه الفنان شيئاً. هو فنّان لبناني موهبته الفنيّة أكبر من أن تبقى محصورة في حدود إيمان الأهل بها، وضمن إطار الوطن. كيف لا يُهاجر وهو يحمل موهبة فنيّة يتفرّد بها وإذا أردنا البحث في الفئة Contre-Ténor في الوطن العربي سنقع على اسم واحد: ماثيو الخضر.

يعرّف ماثيو عن نفسه قائلاً: «أنا لبناني من جذور يونانيّة، وُلدت في بيروت ونشأت في عائلة غير تقليديّة تشجّع الفن بشكل كبير، ويتحدّث عن اختلاف اهتماماته وهو صغير عن باقي أبناء جيله، فكان لديه ميل وحبّ للفنون، الاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكيّة والأوبرا إضافة إلى مشاهدة الأفلام القديمة ولا سيّما باللونَين الأسود والأبيض.

هذا عن ماثيو الانسان، أمّا ماثيو الفنان فقد وُلِد في عمر الـ 9 سنوات يوم بدأ العزف على البيانو بالرّغم من أنّه لم يكن يفكّر بذلك بل «صرت فناناً غصباً عنّي». والحكاية تقول إنّ والدته اشترت له هذه الآلة وقامت بالاستعانة بأستاذة خاصّة لإعطائه دروساً للعزف عليها، وكان يتعلّم العزف ويغنّي في الخفاء لأنّ غناءه آنذاك كان يقتصر على تقليد الأصوات، وأهمّها: Carmen (Bizet). Violetta (La Traviata/ Verdi). Bach. Mozart. Vivaldi، إضافة إلى الأصوات الخاصّة بأفلام Walt Disney. هذا الأمر استوقف والدَيه والمقرّبين منهم حيث كانوا يردّدون: «شو هالصوت لـ ماثيو بعمر الـ 9 سنين» ورأوا فيه «ولداً متميّزاً وأنّه سيصبح فناناً في المستقبل». يومها كانت العائلة تجتمع نهار الأحد وتخصّص وقتاً للاستماع إلى الموسيقى خاصّة الـ Vivaldi، تشايكوفسكي، أم كلثوم، صباح وغيرهم... وكان ماثيو يحوّل

لبناني يتفرّد بموهبة موسيقيّة وحيدة في الشرق الأوسط

الـ Contre-Ténor ماثيو الخضر: أكره السياسة.. وأمثّل لبنان أكثر من السياسيين!

كاتيا سعد - المغترب - باريس

عندما نقول لبنان، نعني رسالة.. وعندما نقول لبناني، نعني تميّزاً.. وعندما نقول مغترب لبناني، نعني انساناً يحمل بعقله وقلبه رسالة لبنان، ومواطناً يجسّد بطموحه وإنجازاته تميّز لبنانيّته...

هذا بالتأكيد ليس تعصّباً للبنانيّتي، وإنّما واقع أعيشه وأتلمّسه يومياً عندما أقابل مواطنين فرنسيين أو أجانب وتحيّرهم لهجتي اللبنانيّة فيبادرون بالتغنّي بلبنان، وأيضاً في كلّ مرّة أسلّط فيها الضوء على مغترب لبناني اضطرّ لسبب ما أن يحزم أمتعته ويهاجر ليحقّق ما لم يستطع تحقيقه في وطنه...

أنا هنا أمهّد لسرد قصّة مواطن يتأسّف لكون مجتمعه لبنان لا يرى في نجاح مواطنيه إلا المهندس والطبيب والإعلامي والتاجر والمحامي ولا يعني له نجاح مواطنه الفنان شيئاً. هو فنّان لبناني موهبته الفنيّة أكبر من أن تبقى محصورة في حدود إيمان الأهل بها، وضمن إطار الوطن. كيف لا يُهاجر وهو يحمل موهبة فنيّة يتفرّد بها وإذا أردنا البحث في الفئة Contre-Ténor في الوطن العربي سنقع على اسم واحد: ماثيو الخضر.

يعرّف ماثيو عن نفسه قائلاً: «أنا لبناني من جذور يونانيّة، وُلدت في بيروت ونشأت في عائلة غير تقليديّة تشجّع الفن بشكل كبير، ويتحدّث عن اختلاف اهتماماته وهو صغير عن باقي أبناء جيله، فكان لديه ميل وحبّ للفنون، الاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكيّة والأوبرا إضافة إلى مشاهدة الأفلام القديمة ولا سيّما باللونَين الأسود والأبيض.

هذا عن ماثيو الانسان، أمّا ماثيو الفنان فقد وُلِد في عمر الـ 9 سنوات يوم بدأ العزف على البيانو بالرّغم من أنّه لم يكن يفكّر بذلك بل «صرت فناناً غصباً عنّي». والحكاية تقول إنّ والدته اشترت له هذه الآلة وقامت بالاستعانة بأستاذة خاصّة لإعطائه دروساً للعزف عليها، وكان يتعلّم العزف ويغنّي في الخفاء لأنّ غناءه آنذاك كان يقتصر على تقليد الأصوات، وأهمّها: Carmen (Bizet), Violetta (La Traviata/ Verdi), Bach, Mozart, Vivaldi، إضافة إلى الأصوات الخاصّة بأفلام Walt Disney. هذا الأمر استوقف والدَيه والمقرّبين منهم حيث كانوا يردّدون: «شو هالصوت لـ ماثيو بعمر الـ 9 سنين» ورأوا فيه «ولداً متميّزاً وأنّه سيصبح فناناً في المستقبل». يومها كانت العائلة تجتمع نهار الأحد وتخصّص وقتاً للاستماع إلى الموسيقى خاصّة الـ Vivaldi، تشايكوفسكي، أم كلثوم، صباح وغيرهم... وكان ماثيو يحوّل

إحدى غرف المنزل إلى مسرح ويقدّم هو وإخوته وأقرباؤه مسرحيّة من تأليفه، ويتابع: «عندما أستمع إلى موسيقى معيّنة أحفظها بسرعة وأقوم فوراً بالتحضير لها وإخراجها».

أمّا المرحلة الفصل في طفولة ماثيو الفنيّة فكانت في عمر الـ 14 سنة، فقد «تغيّر صوتي الذي أتحدّث به، لكن لم يتغيّر صوتي الذي أغنّي به».

ماثيو اليوم، في الثلاثين من عمره، شاب مغترب يحتفظ بطفولة رائعة يتمنّى العودة إليها «لأنّها كانت بريئة، عفويّة وأسهل».

ماثيو الذي يجد في الموسيقى والغناء علاجاً فعّالاً يساعده على تخطّي العديد من المشاكل التي قد تصادفه، يذكر بصوت حزين وغصّة بأنّ أوّل جرح في حياته وأوّل صدمة تعرّض لها يوم تمّ بيع المنزل العائلي عام 2009 «لأنّني شعرت بأنّ الماضي كلّه قد تبعثر.. فكان هذا المنزل يحمل ذكرياتي كلّها وطفولتي». وكان للفن دور مساعد في هذه المرحلة «وقد حقّقت أجمل الحفلات الموسيقيّة خلال هذه المرحلة».

Contre - Ténor

ماثيو يعرّف نوع موهبته الفنيّة بأنّها فئة صوتيّة رجّالية نادرة جدّاً ومستوحاة من أصوات المختصّين من القرنَين السابع عشر والثامن عشر في روما وألمانيا. وبعفوية، يقول: «لقب Contre-Ténor أخافني قليلاً في البداية لأنّني كلّ ما كنت أقوم به بدايةً هو أنّني أقوم بتقليد الأصوات ومنها أصوات نسائيّة، ولم أكن أعرف الفهرس الخاص بالـ Contre-Ténor في حين أنّه كان يعرف الفهرس الخاص بالـ Soprano Mezzo عندما كان يقلّد هذه الموسيقى».

أخذت موهبة ماثيو تنمو تدريجيّاً بدءاً من عمر الـ 9 سنوات، لتترسّخ فنياً في عمر الـ 18 سنة تحت اسم Contre-Ténor. لكن لم يكن الاحتراف ضمن حساباته الخاصّة، وبين دراسته الهندسة في جامعة ALBA ومتابعته دروسه الموسيقيّة، اختار ماثيو موهبته التي كان لها الكلمة الفصل في حسم خياراته في الحياة.

وبذلك دخل ماثيو الخضر مرحلة جديدة، وبدأ يسير في طريق

الاحتراف ليسجّل اسمه ضمن لائحة الـ Contre-Ténor في العالم، وأوّل خطوة سجّلها على أرض الواقع كان إبرام عقد في 13 أيلول 2004 مع شركة Universal Music وانتقاله للإقامة في باريس.

هذه الفئة الصوتيّة النادرة باتت مصدر اعتزاز يحمله ماثيو أينما كان، معتبراً أنّه «شرف كبير أن أعرّف لبنان واللبنانيين والشرق الأوسط على هذا الفن.. شرف كبير أنّني دخلت التاريخ كأوّل لبناني Contre-Ténor غنّى في الشرق الأوسط وفي أوبرا الدوحة في قطر وأوّل مَن أدخل موسيقى «الباروك» (musique baroque) إلى الشرق الأوسط».

كانت هذه هي الموهبة التي آمنت بها عائلة ماثيو أوّلاً، وشركة «يونيفرسال ميوزيك» ثانياً، وجعلت منه Contre-Ténor بدلاً من مهندس، وبالفعل تحوّل حلم الموسيقى والغناء إلى حقيقة. فكيف تُرجم ذلك؟

على الصعيد الشخصي، تُرجم ذلك بأوّل ألبوم خاص به بعنوان «Matteo Haute-Contre» وهو في عمر الـ 18 سنة، ويحمل اسمه «لأنّني اعتبرته بطاقة تعريف لاسم ماثيو». الألبوم الثاني حمل عنوان «Pietà» وقد أنجزه في عمر الـ 28 سنة وعمل عليه بالكامل. وعلى الصعيد الجماهيري، تُرجم كلّ ذلك من خلال الحفلات والمهرجانات ودور الأوبرا التي استقبلت على مسرحها ماثيو الخضر، وأهمّها: مقرّ Communauté Européenne في بروكسل، معهد العالم العربي IMA في باريس، Covent Garden Hall في لندن... ولبنانياً، هناك حدثان شكّلا نقطة بارزة في مشواره الفنّي: الأوّل مشاركته في مهرجان بيت الدين عام 2009 والثاني كان حصوله على جائزة الـ «بياف» (BIAF) عام 2014.

يحتفظ ماثيو بجذوره وبكلّ ما فيه قصّة وتاريخ، ففي لبنان يسكن في منزله في محلّة كليمنصو الذي يعود تاريخ بنائه إلى العام 1930، وفي باريس كان يقيم في منزل يعود إلى العام 1680، ويقول: «كنت أرغب في أن أكون عالم آثار، فأنا شغوف بالتاريخ». ومن جهة أخرى يقول: «تمكّنت من تغيير النظرة النمطيّة الخاصّة بفنّ الأوبرا والتي كانت تقوم على الاعتقاد بأنّها فنّ نخبوي وتقتصر على الكبار في السنّ والأغنياء، فـ «اليوم جمهوري كلّه هو من جيل الشباب، كما جعلت منها فنّاً للجميع».

حبّه الكبير للبنان لم يخفّف منه وضعه السياسي والأمني المتأزّم نوعاً ما، فماذا يحبّ ماثيو في لبنان؟ يحبّ حرارة العلاقات الانسانيّة، أن يكون دائماً محاطاً بعائلته وأقربائه وأصدقائه، كما يحبّ اهتمام الناس، يحبّ الاستماع إلى صوت أجراس الكنائس والأذان ولا سيّما عندما تجتمع أصواتهما في الوقت ذاته...

وماذا عن حياة باريس والغربة؟ يخفّ الشغف الذي كان يعتلي صوته وهو يتحدّث عن لبنان، ويقول: «أشعر في الخارج بالوحدة، خاصّة أنّني أعمل في مهنة تضطرّني لأن أكون وحدي في معظم الوقت سواء أثناء التمرين أو التحضير لأيّ حفل موسيقي». وماثيو، مثله مثل أي مغترب، باتت الوحدة عنواناً لغربته.

هذه النظرة إلى لبنان واللبنانيين، يشترك مع ماثيو بها كلّ لبناني مقيماً كان أو مغترباً، لكن بالمقابل، ما الذي يمنع ماثيو من العودة إلى لبنان؟ «الفوضى تمنعني من الاستقرار اليوم في لبنان».

يبقى ماثيو «مواطناً من هذا العالم»؛ وإن كانت تربطه «علاقة حبّ وكره ببيروت» كما قال وبكلّ شفافيّة، إلاّ «أنّ لبنان يبقى بقلبي». فلتكن هذه دعوة إلى كلّ لبناني، يقيم في لبنان أو يغرّد خارجه، إلى أن يُبقي لبنان في قلبه.